المطرية وشجرة العذراء

د. رءوف حبيب

مكتبة المحبة

المطرية وشجرة العذراء

د. رءوف حبيب

مكتبة المحبة

MATARIA AND THE VIRGIN TREE

MAHABBA BOOKSHOP
20 KAMEL SEDKY, FAGGALLA,
CAIRO, EGYPT. TEL. 903825

Dr. RAOUF HABIB

بلدة المطرية وشجرة العذراء

المطرية الحالية هى فى الاصل تلك القرية التى نشـأت على أنقاض مدينة هليوبوليس القديمة على مقربة من مسـلتها المشهورة الباقية حتى الآن ، وهى أقدم المـدن المصرية ، والتى كانت مركزا للعبادة الوثنية وعلى غالب الاحتمال قبل قيام مدينة منف عاصـمة الديار المصرية العريقة فى القدم ، وقد سكنها عديد من ملوك فراعنة مصر العظام ، وكانت تسمى مدينة « أون On » بمعنى « العمود Colonne » كمـا كان اسـمها المقـدس « بى ـ رع Pi - Ra » ومعناه « مسكن رع » حيث شيد معبدها العظيم الذى كرس لعبادتها وأما هليوبوليس وترجمته مدينة الشمس فهو الاسم الذى أطلقـه الاغريق عليها أخيرا . وقد اشتهرت منذ أقـدم العصور بكلياتهـا الجامعية التى كانت خاصة بكثير من كهنة المصريين العلماء والذين ذاع صيتهم فى تدرس جميع فروع العلم والمعرفة وعلى الاخص فى الفلسـفة وعلم الفلك والتنجيم فى العـالم القديم . وقد هرع اليهم صغار الامراء وأبناء كبار العائلات العـريقة والموظفين لتلقى العلم بقصد تهيئة انفسهم للقيام بمقاليد الحكـم فى مدينة منف أو تولى ادارة الوظـائف المرموقة فى البـلاد . وفى المدينـة المذكورة دون « مانيتون » المؤرخ الاغريقى الذائع الصيت تاريخـه عن الاسرات الفرعونية القديمة مستعينا فى ذلك من سجلات وأرشيف ولفـائف معبدها التى كانت محفوظة بين أروقته العديدة ، كمـا قـدم اليها الفيلسوف العظيم أفلاطون حيث جهز فيها مؤلفاته الفلسفية الخالدة، وكذلك « وصولون » المشرع الاغريقى الكبير جمـع فيها قوانينـه المشهورة والتى استخدمها ونشرها فى عاصـمة بلاده اثينا عنـد عـودته .

تلك البلدة المعروفة بالمطرية والتى حلت مكان مدينة هليوبوليس كما أسلفنا ، كان قد زارها الجغرافى الشهير « استرابون Strabo » وذلك فى مستهل القرن الاول الميلادى ، فلم يجد فيها ما يستحق الذكر مما يدعو الى الاعتقاد انها تخربت ولحق بها الدمار بل وأصبحت أقرب الى الصحراء . ولكن سرعان ما بدأت تستعيد شهرتها وذاع صيتها فى كثير من بلاد المسكونة فى الغرب والشرق بسبب مجىء العائلة المقدسة الى تلك المنطقة ، فعندما همت بالرحيل الى أرض مصر فرارا من ظلم هيرودس ملك اليهود الذى كان مزمعا أن يهلك المسيح الطفل ، سار الركب فى الطريق المحاذى لشاطىء البحر الابيض المتوسط ، وهو نفس الطريق القديم الذى اعتادت القوافل أن تسلكه وكذلك الجيوش القادمة من فلسطين الى مصر . وناهيك عما قاسته من عناء ومتاعب عديدة من وعورة الطريق ومخاوفه ، وقلة الزاد وصعوبة الحصول على الماء ، والرعب من بطش أعوان هيرودس ومطارديهم ، الا أن العناية الالهية كانت ساهرة عليهم وترقبهم .

وقد استأنفت العائلة المقدسة سيرها عدة أيام حتى بلغ بها التعب والاعياء مبلغا مضنيا ، فاضطروا الى أن يجنحوا بركبهم طلبا للراحة تحت جميزة لتقيهم وطأة الشمس ، وكان ذلك بالقرب من قرية المطرية الحالية وربما كانت وقتئذ صحراء قاحلة لما جاءت اليها ، ونظرا لما حدث من معجزات كان يأتيها الطفل المقدس أثناء رحلته فى طول الطريق وقد ذاع أمرها وتناقلتها الالسن ووصلت أخبارها الى مسامع هيرودس فملأه الغضب وقرر ارسال جنوده المسلحين وزودهم بتوصياته لدى حكام مصر مشددا بالبحث عن الطفل وأمه فى كل مكان ، وظلوا يتصيدون الاخبار حتى سمعوا انهم بالقرب من قرية المطرية فشرعوا يبحثون عنهم وكادت تنجح حيلتهم فى القبض عليهم وهم تحت الشجرة فشعرت بهم السيدة العذراء فاختبأت بالطفل فوق الشجرة المذكورة ، وقيل فى رواية أخرى أن الشجرة

العجائبية هذه انحنت بأغصانها الى درجة انها أخفتها وخبأتها عن أعين رسل هيرودس المذكور حتى مر ركبهم ونجت من شرهم . ويزعمون فى رواية أخرى أن العنكبوت قام بدوره ونسج من خيوطه ستارا ليقيهم من الانظار والعيون . ومن ذلك نتج بطبيعة الحال أن أسبغ الناس على تلك الشجرة صفة القدسية ، وكذلك على المكان المذكور التى لجأت اليه وفيه نجت من بطش الاعداء .

وقد ذكر المؤرخ الاسلامى « تقى الدين المقريزى » حوالى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى » أيضا أن العائلة المقدسة حطت بالقرب من عين شمس فى ناحية المطرية ، وهنا استراحت بجوار عين ماء ، وغسلت مريم من ذلك الماء ثياب المسيح وقد أتسخت ، وصبت غسالتها بتلك الاراضى فنبت الله هنالك البلسان ولا يعرف بمكان من الارض الا هناك وكان يسقى من ماء بئر تعظمها النصارى وتقصدها وتغتسل بمائها وتستشفى به . ثم ذكر أنه كان يستخرج من البلسان المذكور عطر البلسم وكان من الهدايا الثمينة التى ترسل الى ملوك النصارى كالحبشة والروم والفرنجة لانه كان ضروريا لديهم اذ لابد من وضعه فى المعمودية عند اتمام عملية العماد فى العهود الغابرة كما كان يستعمل أيضا عند عملية تدشين الكنائس والبيع .

وكذلك ذكر « اميلينو Amélineau » صاحب مؤلف جغرافية مصر القبطية «La Géographie de l'Egypte à l'époque Copte» أن اسم القرية الصغيرة وهى المطرية لم يذكر فى تاريخ الكنيسة القبطية المعروف بالسنكسار الا بسبب تلك الرحلة التى قامت بها العائلة المقدسة فى مصر ، فورد فيه ذكر مرورها بالمطرية واستراحتها واغتسالها من النبع الذى حلت عليه البركة والتقديس من تلك الساعة ومنها نبت عطر البلسم الذى كان يستخدم فى التعمد وفى تكريس الكنائس وكدواء شاف للامراض كما كانت ترسل هدايا للملوك وبسبب تلك الاسطورة التقليدية أصبحت بلدة المطرية من أشهر

الاماكن المعروفة فى مصر واصبحت كعبة ومزارا للحجاج . وبالرغم من أن حدائق تلك المنطقة لم تعد منذ أمد طويل تنتج ذلك البلسم الذى اشتهرت به قديما ، كما أنه لا توجد الشجرة المذكورة التى اخذت صفة القدسية ، وانتزعت من مكانها ، الا أن المكان المذكور مازال حتى اليوم مكرسا ومكرما ويحمل ذكريات حية لا تمحوها الايام

على أن شجرة العذراء الاصلية التى استراحت عندها العائلة المقدسة قد أدركها الوهن والضعف فسقطت عام ١٦٥٦ وقام بجمع فروعها واغصانها جماعة من كهنة الآباء الفرنسيسكان — أما الشجرة التى ثبتت مكانها ولعلها كانت من جذور الشجرة الاولى فهى لا ترجع الا الى عام ١٦٧٢ . ويقال أيضا أنه كان فى المكان المذكور ساقية او آلة رافعة كانت تقوم بتوزيع الماء من عدة ينابيع لرى الحدائق التى كانت حولها . وفى العصور الوسطى أقيم فى المكان المذكور مصلى ثم تحولت بعد ذلك الى مسجد . وفى عام ١٧٠٠ كان يقوم فى المكان المذكور مسجد والى جانبه كنيسة لاقامة الشعائر الاسلامية والمسيحية على السواء . وقد ظلت حديقة المطرية لعدة قرون مشهورة كاحدى الاماكن المقدسة فى الشرق وكانت مزارا مرموقا لكثير من السياح والحجاج من جهات العالم المختلفة . وعرفت باسم حديقة البلسم حيث يوجد النبع الذى استقت منه العائلة المقدسة — وكان من الطبيعى أن الاماكن التى سكنها الطفل المقدس والقديسة والدته لابد وأن تتبوأ مكان الصدارة المرموقة بين المناطق المقدسة الاخرى أمام الحجاج ، وقد جذبت فعلا اعدادا هائلة من حجاج الغرب وكان من التقاليد القديمة التى لابد للسياح من الغرب خاصة هو ضرورة زيارة بلدة المطرية التى كانوا يعتقدون أنها تزخر بأسمى الذكريات بين الحجاج بل كانوا يعدون التهاون فى زيارة تلك المنطقة نقصا لا يرتاحون اليه مهما زاروا من الاماكن المقدسة الاخرى . وقد اقام القبط الاوائل فى العصور الاولى المسيحية كنيسة عظيمة فى المنطقة حيث كانت تقام الاحتفالات سنويا

تمجيدا بذكرى مجيء العائلة المقدسة الى أرض مصر ، ولا تزال الكنيسة القبطية تحتفل بتلك الذكرى المباركة كل عام أول شهر يونيه

ومن بين القصص والاساطير التى انتشرت عند مجيء العائلة المقدسة الى أرض مصر ما تروى بأن كثيرا من التماثيل والاصنام التى كانت تزخر بها البلاد المصرية فى كل مكان تساقطت وتهشمت على أثر مرور الطفل المقدس عليها كما حدثت معجزات شفائية لكثير من الافراد المرضى بأسقام مزمنة عضالة ونالت البرء للتو مما يستلفت النظر ويستزع اعجاب القوم ودفعهم الى التهافت على التبرك بتلك العائلة المقدسة واظهار بالغ التبجيل والاحترام اليها وتقديم كل ما كانت فى حاجة اليه لراحتها عن طيب خاطر . ومن طريف ما يذكر أيضا أنه بعد معركة « عين شمس » التى دارت بين كليبر قائد الجيوش الفرنسية الذى حل محل « نابليون بونابرت » بعد رحيله من مصر الى فرنسا ، وبين قائد الجيوش التركية الكثيرة العدد وانتصر كليبر عليهم ، عرج الجنود الفرنسيون فى طريقهم الى زيارة شجرة العذراء وكتب كثير منهم أسماءهم على فروعها بأسنة سيوفهم وحرابهم . كما أن منهم من دون عن شفائه من مرض الرمد وبرئت أعينهم بعدما اغتسلوا من نبع بلدة المطرية . ومنهم من ذكر عن زوال أمراضه وأسقامه عندما زاروا شجرة العذراء وقدموا صلواتهم وشكرهم لله على هذا الشفاء . وقد ورد فى تاريخ الكنيسة القبطية المعروف بالسنكسار ذكر كنيسة العذراء والنبع العجائبى فى هليوبوليس أنها كانت تحتل فى وقت من الاوقات أهم القواعد الاسقفية المجيدة خصوصا فى زمن مجمع أفسس المسكونى الذى انعقد فى عام ٤٣١ للميلاد .

والغريب أن المنطقة المذكورة يعلم عنها أهل الغرب وسياحهم عن عظم مكانتها وسمو ذكرياتها أكثر مما يعلمه عنها أهلها ، وقد وصل الى علمى من فترة مضت أن فكر لفيف من سيدات كرائم العائلات القاطنين على مقربة من منطقة شجرة العذراء بالمطرية

للزيارة اليها فهالهن ما رأينه من آثار القذارة والمآة والرائحة الكريهة التى تزكم الانوف وتعمى الابصار والتى اصبحت تحيط بالمكان المذكور وكان فى غابر الزمان غرة ناصعة فى جبين القاهرة وما حولها تهرع الى زيارتها الالوف من السياح الاجانب والمصريين وكانت منطقة جذب سياحية رائعة تنبض بالحيوية والدعاية الطيبة لمصر واهلها .

ومما يدعو للاسف الشديد ايضا انه تصادف فى يوم زيارتهن للمكان المذكور حضور فريق من السائحين الاجانب ليتفقدوا تلك المنطقة واخذ ذمذكرات عنها وتصويرها . وقد سمعن منهم العديد من الالفاظ والتعليقات الجارحة التى يندى لها الجبين بل وتخدش الكرامة الوطنية ونوهوا عن مدى الاستهتار والاهمال الشنيع لمكان كهذا يحمل من الذكريات المجيدة والتقاليد القديمة الاصيلة ما يدعو الى الفخر والتبجيل والتقدير من جميع الامم . وكان من نتيجة ذلك ان عز على اولئك السيدات ان تسمعن تعليقات السياح الجارحة بالوطن العزيز وشعرن بخجل شديد ودفعهن الحماس لاخاذ جميع الوسائل مهما كلفتهن من جهد متواصل ومال بقصد نظافة المنطقة وبفضل سهرهن وجهودهن المتواصلة امكن الوصول بها الى حالة مرضية . ولكن تبين لهن للاسف ان ابناء الحى الشعبى المجاور للمنطقة يعودون للعبث بها ويتسلقون سورها القليل الارتفاع ويلعبون ويعبثون فيها بدون مبالاة . والجدير بالذكر ومما يدعو للفخر والاعجاب حقا انهن مازلن صابرات لا يفقدن الامل ويواصلن العمل والجهد المتواصل بقصد حماية المنطقة والاحتفاظ بها نظيفة امام افواج الكثير من السياح الاجانب الذين يرتادونها على مدار السنة . وقد سبق لى الحديث مع عديد من رجال الدولة الذين يهمهم العناية بأمر البقعة المذكورة ووجوب عودتها الى سابق عهدها وعسى ان تتحقق الوعود ولنضع حدا للنقد اللاذع الشديد .

ومن محاسن الصدف الرائعة ان يكون المكان الذى تشرف بتجلى الظهور العجيب لطيف السيدة العذراء وشاهده الملايين من كافة شعوب الارض من جميع الاديان والملل منذ يوم ٢ ابريل من عام ١٩٦٨ فوق قباب وابراج كنيستها فى الزيتون فكان حدثا عظيما ومباركا اسبغ على عديد من المرضى بأسقام عضالة حارت فى علاجها كبار الاطباء ، بنعمة الشفاء التام للتو ، ولعل بقعة التجلى المذكورة كانت من الامكنة التى ارتادتها العائلة المقدسة او مرت عليها عند قدومها الى مصر وخصوصا وانها على مقربة من بلدة المطرية التى التجأت اليها فترة من الزمن فى مستهل مجيئها .

رءوف

ابريل ١٩٧٩

منظر لشجرة العذراء بالمطرية ربما يرجع للعصور الوسطى وقد ظهر عليها الوهن والقدم.

View of El-Mataria Virgin-Tree, probably from the Middle-Ages, when it has been worn and become old.

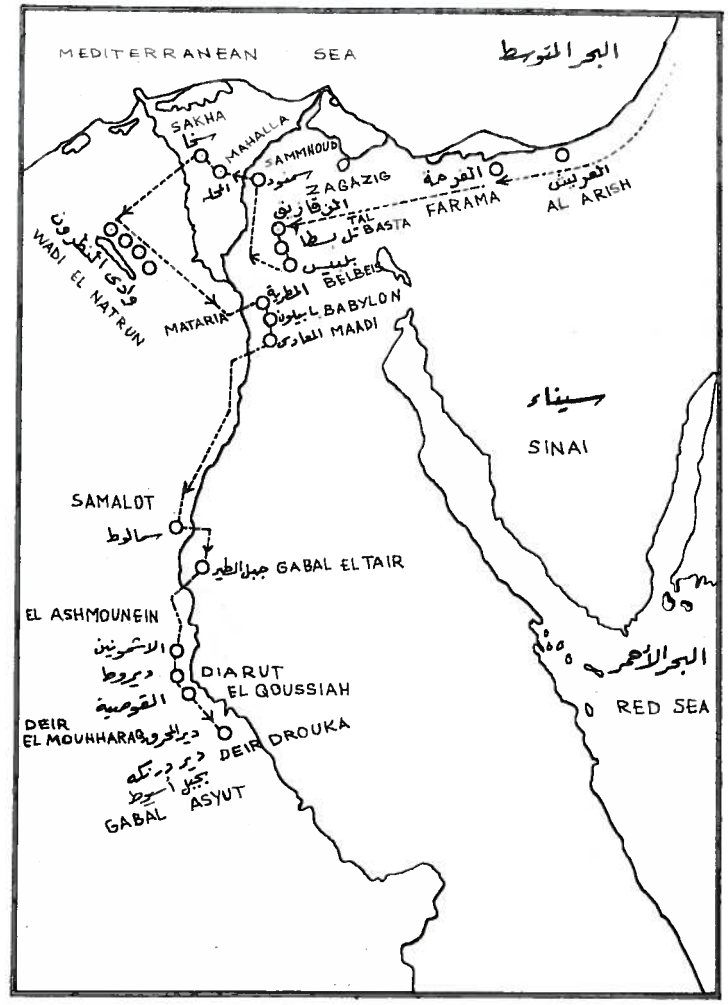

رحيل العائلة المقدسة الى مصر

The Holy Jourrney

المطرية وشجرة العذراء

Matariah and Virgin tree

العائلة المقدسة عند شجرة المطرية

The Holy Family at Virgin Tree

مبنى كنيسة المطرية

Facade of the Ghurch of Matariah

place which has lately been honoured by the wonderful apparition of the Virgin and remarked by enormous multitudes of people of different nationalities over the towers and domes of Zaitoun church from the 2nd of April 1968, that place of this church might have been one of the blessed areas near which the Holy Family passed on arriving into Egypt specially, if we know that the site is neighbouring to the town of El-Mataria which sheltered the Holy Family for a time at the beginning of the arrival. We must also bear in mind that many miraculous events and several healing cases of serious and incurable diseases and patients have suddenly been oured during the Holy Apparition.

RAOUF

منطقة شجرة العذراء بالمطرية

Virgin-Tree At Matariah Village

Egypt have been performed. The Coptic church still acts this benevolent celebration annually for the same idea in the 1st. of June.

Among the tales and legends which spread during the Holy Family's, arrival into Egypt mentioned that many statues and idols which flourished everywhere in Egypt, soon fell down and collapsed directly after the apparition of the Holy Child, many miraculous events happened and several individuals suffering from incurable illnesses were healed in the spot. Such miracles undoubtedly attracted the population to the Family to whom many services were offered willingly. It is noteworthy to be mentioned that Napoleon after his departure from Egypt to France, left the leadership of his French troops to his general Keleber, who was obliged to fight against the innumerable Turkish troops. In a pitched battle, at Ein Shams, Keleber gained a complete victory over the Turkish troops. The French troops after the victorious battle, they marched on their way near the Virgin-Tree. Many of them carved their names on its stem and branches by the tips of their swords and lances. Some of them were cured of their eye-diseases after having been washed from the fountain of El-Mataria. Some also mentioned that all the diseases from which they had suffered were all healed after their visit to the Virgin-Tree, and they offered their hot prayers thanking God for that cure.

It is stated in the history of the Coptic church, namely

the Senaxaire, that the church of the Virgin, the miraculous fountain at Heliopolis, had at times occupied the most important and glorified aposcopal seats especially in the oecumincal congregation of Ephessus held in 431 A.D. It is curious to remark that the people of the Occident and their pilgrims have been well acquainted with the importance of that site, its distinguished souvenirs, its religious and revered situation much more than its own inhabitants. Some months ago, it happened that a group of noble ladies, dwelling near El-Mataria, decided to pay a visit to the spot of the Virgin-Tree. They were extremely blocked of what they have seen of how shameful, nasty, dusty and very dirty the place was ! In remote days, the site was so beautiful, clean and attractive, that it induced thousands of tourists of both foreigners and Egyptians to the visit. Extremely furious and ashamed of what has taken place to a dear and wonderful glorified spot of their native land, through carelessness and disgraceful negligence, those noble zealous ladies decided to take all the essential measures, however troublesome and costly they might have been in order to regain its remarkable biblical fame and vitality and revive its ancient and sublime glory. Through their continual efforts, energy, perseverence and keen watching and clearning the site, they were successful in their decision and the place began to revive and in all probability through the courage and care of the government, it will resume its former biblical touristic situation.

It has been an amazing and sacred coincidence that the

land in which God planted that Balsam which never grew except in that place. That plant used to be watered from a well glorified by Christians who used to come to be washed from its water and cured. He stated that the Balsam perfume was extracted from that plant, and it was one of the valuable presents exported to Christian kings of Ethiopia, Greece and the Franks, being essential to them in order to be added in performing baptism in remote days. It is also employed in the consecration of cathedrals and churches.

Amélineau, the author of the book of Geography of Egypt in the Coptic Era, also reported that the small village of El-Mataria was not mentioned in the history of the Coptic church except because of the Journey of the Holy Family into Egypt. It was stated the passage of the Family at Mataria, the rest, the bath from the fountain that became benevolent and sacred at the spot, the growth of the fragrant balsam plant which was used in baptism and consecrating churches, as a curious medicine for some diseases and as royal presents exported to Christian kings. Because of this traditional legendry, the town of El-Mataria has become of the most renowned places in Egypt, and tourists of various countries and of different creeds and religions to its visit.

Although the gardens of that site ceased to produce this perfume from a long time, and the sacred tree has been dislockated from its place, but the same spot is still glorified, revered and distinguished by an everlasting memory of its

sanctity. The origioal Virgin-Tree near which the Holy Family rested for some time became so weakened and worn that it has fallen down in 1656, and a group of the Franscisscan Fathers gathered its branches. But the tree which grew in its place, and which might probably be from the stem of the former tree went back to the date 1672. It is also said that in the same place there existed a sakia or an elevation — machine destined for the distribution of water from several fountains to irrigate the gardens around the site. In the area, a place for praying was erected in the Middle Ages, and it has been transferred into a mosque. In 1700 the place included a mosque and a church beside it, both the Islamic and Christian rites have been performed in complete harmony.

The Mataria — garden remained famous several centuries as one of the sacred centers in the Orient. Thus multitudes of pilgrims of the whole world, especially the credulous people longed extremely for visiting the place. It was known as the balsam gardens where the fountain which supplied the Holy Family with water during their saujorn. It has also been natural that all places inhabited by the Holy Child and his Mother should be distinguished by a special esteem and reverence. According to the ancient traditions, pilgrims regarded that the visit of El-Mataria was very essential, ouring to its sublime souvenirs and its high religious situation. During the early periods of Christianity, the Copts established a big cathedral in the area, where annual celebrations for the glorification of the memorial arrival of the Holy Family into

been immagazined among the halls of its temple. It has also been stated that the remarkable philosopher Plato came to Heliopolis. where he prepared his philosophic bibliographies. Solon. too, the renowned Greek legislator collected from it, his reputed laws which he published and employed in his country Athens after his return.

El-Mataria which replaced Heliopolis, was visited by the Geographer Strabo at the beginning of the 1st. century A.D. He recorded nothing about it. This assures that the village might have been wholly uninhabited and become a desolate place. But the little village began to revive and soon regained its former reputation and became extremely renowned in many countries of the world because of the arrival of the Holy Family into that spot.

When the Holy Family began its Journey from Palestine into Egypt escaping from the brutality of Herod, king of the Jews who tried to destroy the Holy Child, they probably passed through the route, neighbouring the Mediterranean shore which might have been the ancient way followed by the caravans and armies coming from Palestine to Egypt. But they undoubtedly avoided, as much as possible, the clear usual route to be in safe. The way was extremely troublesome and hazardous either from shortage of food and water, or the horror of the kings' attendants and mauruders and wild beasts, however God's Eye has always been watching them. They continued their journey several days until they became wholly fatiqued. They were forced to search for a calm spot for rest

and they came under an old branchy sycamore tree that protected them from the heat of the sun. This was near the village of El-Mataria, which had probably been as a desert at that time. Owing to the wonders and miracles which took vlace by the Holy Child during the journey, such tidings spread everywhere and became konwn to Herod and ex-asperated him very much. He sent his well-weaponed soldiers with full recommendations to the rulers of Egypt to search carefully about the Child and His Mother everywhere. Through the continual and accurate search for the Family, the soldiers could collect some of the news, that the Family reached the village of El-Mataria. They tried to fetch them near the spot. They were about to succeed in catching the Child when He was under the tree. No sooner did the Virgin feel the soldiers' approuch, than She hid together with her Son over the tree. In another tale, it was related that the miraculous tree bent with its branches until it hid the Holy Family from Herod's soldiers and they were saved from their danger.

In a third story, it was said that the spider played its role in weaving its threads, which acted as a curtain to protect them from the enemies' eyes. From those tales, people have naturally sacrified that tree and also the spot which sheltered and protected them. The Islamic historian Takii el-Din-el-Makrizi in 1441 A.D. mentioned that the Holy Family arrived near Heliopolis, at the place of El-Mataria, whey they rested near a fountain from which St. Mary washed from that wafer the unclean clothes of Jesus, and threw the water around that

EL-MATARIA & THE VIRGIN-TREE

It is that village which was erected on the ruins of the ancient city, Heliopolis, near its famous obelisk, which still now exists. Heliopolis has been the oldest Egyptian city and the center of the heathen worship, probably before the apparition of the ancient capital of Egypt, Memphis. It was the residence of many kings of the pharaohs; it is called the city of «On», which means «column», and its sacred name was «Pi - Ra», that signifies «The dwelling of the God R», where its splendid temple, dedicated to its worship. has been established. But Heliopolis which means the city of the sun has lately been adopted by the Greeks. From the remotest days, it was famous for its high universities which attracted tremendous numbers of students and scholars of the Egyptian priests whose reputation was unmatched in teaching all the branches of knowledge and wisdom especially philosophy, astronomy, astrology, medicine and history of the old world.

Several young princes, the sons of the noble families and of the high officials of Egypt were annexed to those universities in order to gain the sufficient learning and culture and prepare themselves for the management of the important affairs in the high ranks of the palace and the big cities of the country. It is note worthy that the famous Greek historian Manithon wrote the history of the ancient Egyptian dynasties, depending upon the registers, the rolls of papyrus and the archives which had